

# مَدْنَ الْمَاحِ تَقْرِيقُ مَنْ لَيْلَهَا الْمَطْوِيل

حصلت بين أنصار الصدر وقوات الائتلاف والشرطة العراقية في كربلاء والنجف والثورة والبصرة والناصرية، قامت القوات الإيطالية بتفجير المقر، لكن أعيد بناؤه بعد يوم واحد فقط. حركة مقتدى الصدر الآن أصبح حالها حال الحركات الدينية والسياسية الأخرى. نقل السلطة إلى الحكومة العراقية الجديدة غير كثيراً من المفاهيم في العراق. لم ينشأ السيد مقتدى الصدر وأنصاره من جيش المهدى ان يدخلوا في مواجهات مع الحرس الوطني العراقي او الشرطة، عكس الجماعات المتطرفة المنتشرة في الغرب الوسط. هدوء الجنوب النسبي سهل تنامي السلطة العراقية، وفي الوقت نفسه خفت كثيراً من تواجد القوات الأجنبية.

(البارادوكس) هذا يصعب فهمه من قبل أنصار النظام المخلوع والمطربين الوهابيين والقادمين من خلف الحدود. على طول الطريق المتدلي بين بغداد والناصرية وهو يبلغ أكثر من أربعين كيلومتر، لم نلمح اي قافلة للقوات الأجنبية، لا في الذهاب ولا في الأياب. المواطن هنا يحس بذلك، لهذا فهو متفائل جداً في العهد الجديد. ان مظهر البؤس الطاغي على مدن الجنوب يجعل الإنسان يستشعر غيضاً على النظام السابق، اذ لم تحضف ولا بلاطة واحدة خلال خمس وعشرين سنة على تلك المدن. ما كان جديداً اهتز دون ان يرتفع جديد في الأفق. طريق العودة لا يشبه طريق الذهاب، فالضفول الذي كان يستولي على قبل التوغل جنوباً خلف وراءه خيبة شاسعة. مدن تراجعت وسط الغبار وسراب السبخ والملح، لتغور ثانية في لجة الجهل والتخلف، متغيرة بسراب حرارة تبلغ الخمسين درجة مئوية. نساء الملاج غربان جاثمة على حوابي الطرق.

الرعاية منشغلون مع الحمير والجاموس وأشواك الأرض. الأمكانية التي رأيتها قبل ربع قرن خللت وراءها قصصاً مأساوية فقط. مدينة الناصرية ليست سوى نموذج للجنوب، فلا شيء واضح في الأفق. الترميم هنا لم يعد ينفع، لكن البناء صعب جداً.

انظار الجميع تتطلع إلى بغداد، فالحركة هناك، معركة دموية ومتعددة الأوجه، لكنها ستعيد العراق في النهاية إلى قلب العالم، كما كان دائماً.

المستشفى العام اضخم بناء في المدينة، سمي سابقاً مستشفى صدام. اليوم وتأكيداً للديموقراطية الوضع اصبحوا يسمونه مستشفى الياور، نسبة إلى غازى عجيل الياور رئيس جمهورية العراق الجديد. الفرق ان التسمية السابقة فرضت بأمر سلطوي وتسمية اليوم جاءت من الشعب تندرأ ونكأة ربما. ورغم الفقر وقلة فرص العمل الا ان اغلب الناس متفائلون، فهم حسب رأيهما يعيشون حياة ثانية. من لم يمتهن في الحروب المتعاقبة قتل في الانتفاضة الشعبانية، ومن لم يقتل على ايدي اجهزة الأمن وتشرد في المنفى رجع إلى أهله وهو يسمع قصصاً اغرب من الخيال، عن ايام الحصار والاستدعاءات الأمنية والعقوبات الجماعية وقصص شوار الأهوار الذين شاركوا قوات الحلفاء في الاستيلاء على المدن ودارتها. الوحيدة الابطالية العاملة في الناصرية منكفة في قاعدتها، فلا حاجة لها في المدينة. والمدينة ليلاً سابحة في النور، وهو أمر نادر الحدوث حتى في بغداد العاصمة. حافظ أهالي الناصرية على محطة الكهرباء العاملة أثناء سقوط النظام، وحموها من التخريب. المحطة تشتعل بالغاز السائل وهي توفر حاجة المدينة وتفريض.

قبل أسبوع حاولت السلطة المركزية اقتسام الكهرباء مع الحافظات الوسطى لكن أهل المدينة عارضوا ذلك. خرجت تظاهرات ترفض الفكرة من أساسها. يقول الأهالي لم تحافظ المدن الثانية على خطوط الكهرباء متىما فعلنا؟ فعلاً، تم نهب مئات الكيلومترات من إسلام الضغط العالي في مدن الرمادي وسامراء وتكريت، إذ كانت تصهر من قبل عصابات النهب وتبع في الأسواق المجاورة. لهذا حين خرجن إلى مدينة الناصرية في الساعة الواحدة ليلاً كانت أضواء المصايب تحعكس على موجات الفرات لتشكل اعمدة من الزخارف الرائعة. عدم انقطاع الكهرباء لم يخف المنظر الكئيب لهذه المدينة في ليل الصيف. ثمة حزن في الهواء، وثمة قصص تروى عن الذين غابوا وانقطعت أخبارهم. مقر مكتب الصدر كان قائماً على ضفاف الفرات، وبصورة للسيد مقتدى الصدر تحمل الواحة. خلال

لها بديلا. هو لم ير شيئاً في حياته سوى القهر والذل والموت. الموت اليقظ بما فيه الكفاية، ومطلب أحياناً في دنيا الشقاء.

في ساحة الحبوب التي يحتل وسطها تمثال الشاعر، كان ثمة بارات وباعة خمور وكافيريات تضفي نكهة على المدينة. لكنها اليوم تحولت إلى محال مهترئة وباعة عصير ومقاه قديمة التحivot يسهر فيها الشباب العاطل عن العمل حتى الواحدة ليلياً. بعد سقوط النظام انتشرت ظاهرة الصور، فأينما يدير المرء وجهه يلاقي صوراً لرجال دين، وشعارات وألافات. اليوم بدأت الصور تختفي وندرت اللافات، وغاب المسلحون المتندينون. بدأت الشرطة العراقية تمسك النظام بيديها، ومنعت أي مظاهر مسلحة من قبل الحركات الدينية. كما ان المواطنين هنا بدأوا ينصرفون قليلاً قليلاً عن الحركات الدينية، ويتجهون إلى الدولة، وأصبحت الوظيفة مرغوبة أكثر من ذي قبل. أول مرة في تاريخ العراق يصبح الشرطي محبوباً من قبل المواطن العادي. أصبح عنوان أمان ومحظراً من مظاهراً العهد الجديد.

كل فرد هنا في الناصرية له قصة مع النظام السابق، إذ كان يستقدم مدراء الأمن والمخابرات والفرع الحربي من المناطق السنوية المواصلة نسبياً، ويطلق أيديهم في حكم المدن. هؤلاء كانوا يجلبون معهم جيوشاً من المقاولين والمهتمين والتجار لإنجاز أعمال المدن، ويساركونهم أحياناً في الفنائم. خسرت المناطق الغربية من العراق امتيازاتها في الهد الجديد. المال والسلطة. لم يربج الجنوب إلا أنه أخفف من هيمنة السلطة التي لا تحبه. كان لأهل الجنوب المقاير الجماعية والقتل والتعذيب والتهميش لهذا لم يأسفوا على زوال الطاغية وعهده البائد.

بعد انتفاضة التسعينيات ومشاركة ملايين العراقيين في الثورة ضد النظام، كتبت صحيفية الثورة التي كان يصدرها حزببعث ان أهل الجنوب اصلهم من الهند، وليسوا عراقيين وهم عديمو شرف ونخوة، وعرضت الفضائيات بعد سقوط صدام صوراً مرعبة لعلي حسن الجيد ومحمد حمزة الزبيدي والمسؤولين الكبار وهو يركلون المواطنين بأحديتهم ويوجهون مسدساتهم إلى الرؤوس.

على حفافاتها تقع الأهوار  
المشهرة بالبطن البري  
والأساطير وحكايات الأمراء  
الاقطاعيين في الزمن الغابر.  
انها المشحوف السومري  
والسمك الجفف والقصب  
والبردي والخنازير البرية.  
تعتبر الأهوار محمية طبيعية  
ذات روح سياحية وجمالية  
 تستلهem الشعر والخيال  
والحكي. مظفر النواب كتب  
قصائد عديدة عن فلاج الهور  
وآل ازirج والبندقية المحسورة  
دائماً، وكذلك استلهem سعدي  
يوسف في قصائد ماضية. أما  
الصحافي شمران الياسري  
المعروف بين العراقيين بأبو  
كاطع، فكتب رواية من ثلاثة  
أجزاء عن واقع الأهوار.  
والناصرية ايضاً بلد الشاعر  
الجنوبى الحبوبى، وله تمثال  
اليوم فى ساحة الجنوبى وسط  
الناصرية. عاش فى بداية  
القرن العشرين وشارك فى ثورة  
العشرين وكتب قصائد وطنية  
تحفظها الأجيال.

الغريب ان مدن الجنوب لم  
تطلها يد الاعمار حتى  
اللحظة، رغم انها تتمتع  
بالأمان ولا تنقطع فيها  
الكهرباء مثل باقى مدن  
العراق، ومن غرائب هذا  
الشعب ايضاً، ان المواطنين هنا  
يخرجون في تظاهرات تطالب  
بتغيير هذا المحافظ او ذاك،  
لكنها لا تخرج للمطالبة  
بت bliط الشوارع وترميم  
المستشفيات والمدارس  
والمنشآت الحكومية، وكان ثقل  
الايدى ولو جيا اكبر من الحياة  
نفسها. لم ار امرأة سافرة في  
اغلب المدن التي توقفنا فيها  
وكذلك في مدينة الناصرية،  
العبارة العراقية السوداء  
المعروفه هي الفاشية كلباس  
للنساء هنا، بالنسبة للفالحات  
والقرويات يتحولن عبر هذا  
الزي الاسود الى غربان بشريه  
ذات وجوه كالحة. هذه ليست  
الناصرية التي اعرفها.

مدينة شبح. خارجة من  
انقضاض التاريخ، فالابنية  
كالحة، والأشجار ذاتلة،  
والشوارع امتلأت بالحفر،  
والكورنيش الجميل المتند على  
ضفتى الفرات أصبح اطلاقاً.

كانت التماشيل التي توسطت  
ذات يوم حانات النهر تركت  
مهجورة وسط ارض شاحبة.  
امتلات الضفاف بالفنایات.  
الرجل النتصب وسط  
مشحوفه السومري كان ينظر  
إلى امواج الفرات بحسرة.  
اختفت الجميالت من الشوارع  
وغاب سمار الليل بأغانيهم  
ونشواتهم وموالاتهم الجنوبية  
المستوحة من قيارات اوروك  
وبابل وآشور. الخمور حرمت  
في الناصرية تماماً ودار  
ال الحديث عن اشخاص قتلوا ما  
ان مارسوا مهنة بيع الخمور.  
على الكورنيش وحده وجدت  
ذات يوم كما اخرجن اخ زوجة  
اخي المتحدث البق، اكثر من  
عشرين حانة، تفتح  
ابوابها منذ الظهيرة  
ولا تغلق الا في ساعة  
متاخرة من الليل.  
نتيجة للعزلة  
والتهـمـيش  
والانقطاع عن  
العالـمـ ضربت  
اغلب مدن العراق  
موجة تهـرـيرـة  
تأخذ من الدين  
قشوره حسب.  
تقـالـيدـ العـزلـةـ  
ـسـماـهاـ أـخـيـ  
ـوـالـإـنـسـانـ

والرز والمرق في قدور بادية  
لليـانـ، تفتقر الى ابـسطـ  
مقـومـاتـ النـظـافةـ. ولولا قـانـونـ آـبـ،  
ـلـكـانـ المسـافـرـ يـضـطـرـ الىـ شـربـ  
ـمـيـاهـ مجـةـ عـطـنـةـ رـغـمـ ماـ بـهـاـ  
ـمـنـ ثـلـجـ. الفـرـاتـ وـدـجـلـةـ  
ـيـخـرـقـانـ هـذـهـ الأـصـقـاعـ لـكـنـ  
ـنـسـبـةـ التـلـوـثـ عـالـيـةـ. جـمـيـعـ  
ـالـمـدـنـ العـرـاقـيـةـ الـيـوـمـ، بـمـاـ فـيـهـاـ  
ـبـغـدـادـ، تـصـبـ موـادـهاـ  
ـالـكـيـمـيـاـوـيـةـ وـنـفـاـيـاتـهاـ فيـ هـذـينـ  
ـالـنـهـرـيـنـ. المـيـاهـ فيـ دـجـلـةـ  
ـوـالـفـرـاتـ بلـغـتـ مـسـتـوـيـاتـ  
ـخـرـافـيـةـ فيـ هـذـهـ السـنـةـ، بـعـدـ انـ  
ـرـفـتـ عـنـهـمـ الـحـوـاجـزـ  
ـوـالـسـدـوـدـ، فـالـرـئـيـسـ كـانـ يـخـنـقـ  
ـمـدـنـ الـجـنـوـبـ حتـىـ فـيـ المـاءـ،  
ـوـلـهـذـاـ قـامـ بـحـمـلـةـ وـطـنـيـةـ  
ـلـتـجـفـيفـ الـأـهـوـارـ، تـلـكـ  
ـالـمـسـطـحـاتـ الـمـائـيـةـ التـيـ تـغـطـيـ  
ـأـلـبـ منـطـقـةـ الـجـنـوـبـ. قـامـ  
ـإـيـضاـ بـمـنـعـ زـرـاعـةـ الرـزـ وـهـوـ  
ـمـحـصـولـ يـعـتـمـدـ عـلـيـهـ الـفـلـاحـ  
ـبـشـكـلـ اـسـاسـ، وـبـدـأـ الـعـرـاقـ  
ـيـسـتـورـدـ الرـزـ منـ تـايـلانـدـ  
ـوـفـيـنـامـ وـأـمـيـرـكاـ. اـمـاـ السـمـكـ  
ـفـاصـبـعـ عـمـلـةـ نـادـرـةـ. هـاجـرـ اـثـرـ  
ـذـكـ مـئـاتـ الـأـلـافـ مـنـ  
ـالـفـلاـحـينـ إـلـىـ الـمـدـنـ ليـضـافـ إـلـىـ  
ـالـمـدـيـنـةـ عـبـ آخرـ.  
ـفـيـ الطـرـيقـ مـنـ الرـمـاديـ  
ـالـغـرـبـ نحوـ بـغـدـادـ العاصـمـةـ  
ـيـرـىـ الرـءـوـيـ الـجـيـشـ الـأـمـيـرـكـيـ كـلـ  
ـكـيـلوـ مـتـ تـقـرـيبـاـ، اـمـاـ كـرـبـاـيـاـ  
ـثـابـتـةـ اوـ دـورـيـاتـ سـيـارـةـ، لـكـنـ  
ـالـطـرـيقـ مـنـ بـغـدـادـ إـلـىـ  
ـالـنـاصـرـيـةـ يـخـلـوـ مـنـهـمـ تـقـرـيبـاـ.  
ـالـبـلـدـ فـيـ هـذـهـ التـواـحـيـ يـبـدوـ  
ـخـالـيـاـ مـنـ الـقـوـاتـ الـأـجـنـيـةـ. لـمـ  
ـنـصـادـفـ ايـ اـثـرـ لـعـساـكـرـ،  
ـوـهـنـاكـ فـقـطـ مـفـارـزـ مـنـ  
ـالـجـيـشـ الـعـرـاقـيـ وـالـشـرـطـةـ،  
ـحـتـىـ الـمـيـلـيـشـيـاتـ الـمـسـلـحةـ  
ـاـخـتـفـتـ إـلـىـ دـاـنـ تـشـكـلـتـ  
ـالـدـوـلـةـ الـعـرـاقـيـةـ بـمـؤـسـسـاتـهاـ  
ـالـأـمـنـيـةـ. لـيـسـ مـنـ الـمـسـتـغـرـبـ  
ـتـعـتـبـرـ الـمـنـاطـقـ الـجـنـوـبـيـةـ آـمـنـةـ  
ـلـلـأـمـيـرـكـانـ، فـالـاـضـطـهـادـ الـذـيـ  
ـوـقـعـ عـلـىـ هـذـاـ جـزـءـ مـنـ  
ـالـعـرـاقـ عـلـىـ يـدـ النـظـامـ السـابـقـ  
ـكـانـ رـهـيـاـ. صـارـ الـوـاطـنـ يـشـعـرـ  
ـبـنـفـسـهـ حـرـاـ، سـوـاءـ عـرـ  
ـمـارـسـةـ طـقـوسـهـ اوـ اـنـتـمـائـهـ  
ـإـلـىـ الـحـزـبـ الـذـيـ يـرـيدـ، عـدـاـ دـعـمـ  
ـخـصـوـعـهـ لـأـلـيـةـ سـلـطـةـ مـرـكـزـيةـ  
ـتـفـرـضـ عـلـىـهـ تـوجهـاتـهاـ.  
ـقـارـنـتـ مـاـ رـأـيـتـ قـبـلـ خـمـسـ  
ـوـعـشـرـيـنـ سـنـةـ وـالـيـوـمـ، فـيـ  
ـالـطـرـيقـ نـفـسـهـ، لـكـنـيـ لـمـ اـجـدـ  
ـفـرقـاـ. لـمـ يـتـغـيـرـ شـيءـ، عـلـىـ  
ـالـعـكـسـ، اـهـرـأـتـ الشـوـارـعـ وـبـادـتـ  
ـالـبـيـنـاـيـاتـ وـعـتـقـتـ السـيـارـاتـ  
ـوـازـدـادـتـ الـكـابـةـ فـيـ الـوـجـوهـ.  
ـالـحـرـيـةـ فـيـ كـلـ ذـرـةـ هـوـاءـ وـزـقـاقـ  
ـوـتـعـيـرـ وـجـهـ. هـذـاـ الـخـرـابـ لـمـ  
ـيـكـنـ وـلـيـدـ الـلـحـظـةـ، اـنـ نـتـاجـ  
ـعـشـراتـ السـنـينـ مـنـ الـحـرـوبـ  
ـوـتـمـيـزـ الطـائـفـيـ وـالـمـقـابـرـ  
ـالـجـمـاعـيـةـ وـالـتـطـهـيرـ الـعـرـقـيـ  
ـالـذـيـ مـارـسـهـ حـزـبـ الـبعثـ  
ـوـنـظـامـ صـدـامـ حـسـينـ. تـوـجـ  
ـذـلـكـ اـيـضاـ بـعـشـرـ سـنـوـاتـ مـنـ  
ـالـحـصـارـ الدـولـيـ، عـانـىـ مـنـهـ  
ـالـمـوـاطـنـ الـبـسيـطـ فـقـطـ. هـذـاـ  
ـالـجـزـءـ مـنـ الـوـطـنـ لـمـ يـفـقـدـ اـيـ  
ـامـتـيـازـ اـثـرـ سـقـوطـ النـظـامـ،  
ـعـلـىـ الـعـكـسـ لـمـ يـرـبـحـ سـوـىـ  
ـحـرـيـتـهـ وـانـ جـاءـتـ مـتـوـجـةـ  
ـبـالـخـرـابـ وـالـفـقـرـ وـالـتـخـلـفـ. لـمـ  
ـيـفـقـدـوـ سـوـىـ اـغـلـالـهـمـ عـلـىـ حـدـ  
ـتـعـبـيرـ مـارـكـسـ.  
ـلـنـاصـرـيـةـ عـادـةـ وـقـعـ ضـخمـ فـيـ  
ـالـذـهـنـ الـعـرـاقـيـ. هـنـاكـ  
ـعـشـراتـ الـأـغـانـيـ  
ـتـذـكـرـ مـدـيـنـةـ  
ـالـنـاصـرـيـةـ،

من الاستقرار الأمني، إلا ذلك لم يجعل لها أي امتياز حركة البناء. القرى الطينية نفسها، تتناثر على جانبي الطريق، بيوتها تتكون بعض على بعض، وهنا يعيش الفلاح مع جاموسه ومواشيها كما كان أجداده يفعلون قبل مئات السنين. بعض القرى تصلها الكهرباء حتى الآن، الطرق العبدة والماء المعقة والهاتف فتحول إلى خرافات في الأذهان. مدن وأقضية ونواحٍ مثل الرفاعي والحوارة سكر والشطرة تبد مثل مقابر مهجورة. بيرو من الطابوق وبرك للملو وشوارع ترابية ونادرًا ما ير فيها أثر لأشجار والحدائق وهذه المدن أعطت العراة ملحنين وكتاباً وفنانيًّا أصبحوا من الشاهير مثل المحن طالب القرغل والروائي عبد الرحمن محبوب والربعي والشاعر الشعبي رياض النعماني والمطرى المعروف حسين نعمة والكاتب كاظم جهاد والعشرات من الأسماء. على جانبي الطريق كنا نشاهد الملأات يغترفون المسحوق الأبيض ويجمعون قرب حاوي البرك المحى بعاءاتهن السود وجلساته الخانعة المتصقة بالأرض يبدئين مثل شخصيات أفلام بازارليني. ينتظرون بحسب نسائي زبائن يبغون فجأة من البيد والحقول والقرن المجاورة.

الأفق مغزير ينبع على ارتفاع سبخة تنمو فيها أشجار الطرفاء والطريق، وعلى حين غرة تنتصب نخيلًا بعيدة عجاف أشيه بشاه على خراب أرض وبلا وحضرات. من أين انبع ظهورابي وكيف ساحلجامش يحثا عن عشب الخلود؟ وأنانا أين تقييم ومن قتل تموزي؟ وعشثار تندب حبيبها لينهض من العالم السفلي. رائحة السمك والملح، والمطاعم على جانبي الطريق لا تنتهي إلى عصرنا. تقدم وجبات من اللحم المشو

نقاط تفتيس ولا جيش عراقي ولا حرس جمهوري. الطريق مفتوحة على مديات من الأرض الباب، والحرارة الحانقة، والقرى ذات البيوت الطينية، وأجمات الشوك والطوفاء وهي تنتشر في حقول شاسعة خالية من الزرع. اليوم ما إن يفكر المرء بمدن الجنوب حتى يحضر اسم الحركات الإسلامية، فهي تحكم بمصير تلك المدن ولها ثقل كبير بين المواطنين. سبب هذا معروف، فما ان انهارت الدولة العراقية، ومع غياب الأحزاب السياسية بعد ضربها داخل العراق بقوه، وتحولها إلى أحزاب مناف، لم يجد المواطن البسيط حوله سوى المؤسسة الدينية. في المدن السننية وجد الجامع ورجل الدين وشيخ العشيرة، وفي المدن الشيعية المرجعية والحركات الدائرة في فلكها. وهذا برز اسم حزب الدعوة وال مجلس الأعلى للثورة وال المجلس الإسلامي في العراق وجماعة السيد مقتدى الصدر وثأر الله وحزب الله، وعشرات من المنظمات الدينية الصغيرة التي راحت تقيم نظاماً الهيا في المدن والبلدات، كل حسب توجهاته. ومع غياب الحزب الشيوعي العراقي عن ساحة الفعل السياسي، وحل حزب البعث، وتلاشى الفكر القومي المنتخ بالشعارات والخطاب، اتجهت القوى الشابة إلى شيوخ العشائر والمرجعيات الدينية وتم ضبط الأمن وحراسة المنشآت من السرقة. بعض هذه الحركات سرعان ما بدأت أيضًا بتطبيق ايديولوجيتها المتزمتة فمنعت الخمور وبدأت بمراقبة النساء وفرضت الحجاب وعقدتمحاكم لتطبيع ذلك. ثم انتشرت الميليشيات المسلحة وحلت محل الدولة الغائبة طوال الأشهر التسعة تكريباً التي اعقبت سقوط نظام صدام حسين.

مظاهر التغيرات الدرامية الكبيرة لم تظهر على مدن الجنوب، إذ لا يلمس الشاهد أي أثر للأعمار، ورغم أن المدن الجنوبية عموماً تتمتع بشيء العوائل ابتدأ بناوئها جميـعاً. طريق الجنوب اذن طريق الى الجبلة.

Iraq اليوم ليس عراق الشهانئيات، فليس هناك الرحـلة الى الناصرية عودة الى أيام الشباب والسعادة في استقراء الغـيب. تلك ايضاً حقبة سوداء من الحروب والارهـاب السياسي والرعب الشامل الذي عاشه العراق في عقد الثمانينيات. مطلع الشمس يوحـي دائمـاً بالجنوب. كان جدي يدعو الريح الـهـابـة من هناك بـ(الـشـرجـيـ). وكانت عادة ما تكون رطبة محملة بالـطـرـرـ. مواطنـو تلك المناطق يدعـونـ ايـضاـ بـ(ـشـروـكـيـ)ـ وتحـريفـهاـ يـتحولـ الىـ شـتـمـ وتحـقـيرـ. وهي صـفةـ فيهاـ شـتـمـ وتحـقـيرـ.

ما ان وصلـناـ الصـوـيرـةـ، وهي بلـدةـ صـغـيرـةـ عـلـىـ أـطـرافـ بغدادـ حتىـ لـعـاسمـ عبدـ الكـرـيمـ قـاسـمـ فـيـ الذـاـكـرـةـ. انهـ قـائـدـ ثـورـةـ ١٤ـ تمـوزـ التيـ قـضـتـ عـلـىـ النـظـامـ الـلـكـيـ وأـسـتـ للـجـهـوـرـيـةـ، كـمـ أـسـتـ فـيـ ذـاتـ الـوقـتـ لـانـقـلـابـاتـ مـتـلـاحـقـةـ عـصـفـتـ بـالـعـرـاقـ. اـمـتـلـاـ الشـارـعـ بـالـمـؤـامـرـاتـ وـالـتـصـفـيـاتـ وـالـدـسـائـسـ السـيـاسـيـةـ، وأـصـبـ العـسـكـرـ هـمـ التـحـكـمـونـ بـمـصـيرـ الدـوـلـةـ. عبدـ الكـرـيمـ قـاسـمـ يـتـحدـرـ مـنـ أـبـ سـيـنيـ وـأـمـ شـيـعـيـةـ، وـحـينـ اـغـتـيـلـ مـنـ قـبـلـ الـبـعـثـيـينـ فـيـ عـامـ تـلـاثـةـ وـسـتـيـنـ شـاعـتـ اـسـطـورـةـ بـيـنـ العـوـامـ انـ الـرـوـسـ الصـقـواـ صـورـتـهـ عـلـىـ وـجـهـ الـقـمـرـ. الصـوـيرـةـ بـلـدـ الـزـعـيمـ، وـكـلـ مـدـيـنـةـ اوـ بـلـدةـ جـنـوبـيـةـ تـذـكـرـ الـرـءـوـنـ بـشـخـصـ ماـ، فـنـانـ اوـ كـاتـبـ اوـ روـائـيـ اوـ مـلـحنـ، حـيـثـ عـرـفـ اـبـنـاءـ الـجـنـوبـ بـنـاشـاطـهـمـ فـيـ هـذـهـ الـمـجاـلـاتـ، خـاصـةـ اـنـ الـفـكـرـ الـيـسـارـيـ كـانـ فـاشـيـاـ فـيـ مـدـنـ الـجـنـوبـ، رـبـماـ بـسـبـبـ الـفـقـرـ الـمـدـقـعـ.

الجنوب حاضنة للتـرـدد والتـارـيـخـيـ الذيـ طـبـعـ هـذـاـ الجـزـءـ منـ العـرـاقـ. اـبـنـاؤـهـ عـادـةـ ماـ يـكـونـونـ وـقـودـاـ لـلـحـرـوبـ، مـثـلـماـ جـرـىـ فـيـ الـحـرـبـ الـعـرـاقـيـ الـأـيـرـانـيـ. لـأـعـتـقـدـ انـ بـيـتـاـ فيـ الـجـنـوبـ يـخلـوـ مـنـ قـتـيلـ حـربـ اوـ رـقـيدـ مـقـرـبةـ جـمـاعـيـةـ اوـ سـجـينـ سـيـاسـيـ. قـيلـ انـ بـعـضـ العـوـالـلـ اـبـيـدـ اـبـنـاؤـهـ جـمـيـعاـ. طريقـ الجنـوبـ اـذـنـ طـرـيقـ الىـ الجـبـلـةـ.

Iraqـ اليومـ ليسـ عـراقـ الشـهـانـئـياتـ، فـلـيـسـ هـنـاكـ

الجنوب يعني الكثير. الذاكرة تحفظ لغة  
الجنوب المصنوعة من أهوار وجاموس وحضارات  
بائدة وفرق إسلامية وأديان، وفقر نما عبر تاريخ  
طويل. الجنوب هو البصرة والناصرية والعمارة  
والسماء المشمورة على اطراف بادية السعودية.  
ومن الجنوب توغلت القوات الأمريكية  
والبريطانية لتسقط أعتى نظام شرق أوسطي  
عرف بقسوته الفائقة. مدن مثل البصرة  
والناصرية والزبير والعمارة ليست غريبة على.  
كانت بضعة من الشباب والراهقة.وها أنا بعد  
رحلة طويلة في العالم اعود اليها. وأمس ليس  
كاليوم، اذ جرت قصص وتناثرت احلام، ولا مست  
اشواك الحقائق لب الخيالات. سمييت هذا الصباح  
صباح الجنوب. وحين خرجت بنا السيارة انا وأخي  
من تخوم بغداد أحسست اني اعود سنوات الى  
الوراء. نحن ذاهبون الى الناصرية، زوجة اخي من  
هناك، وحين سألي مرافقته لجلبها من الأهل  
وافقت في الحال. هي فرصة لا تعوض بالنسبة  
لي، فقد زرت الناصرية قبل خمس وعشرين

شاكرا الأنباري